رفقا بشباب الغد ورجال المستقبل

« بسم الله ما شاء الله عينى عليهم باردة ، شايفه الأولاد الصغار فلان وفلان وعلان أولاد الفلاينة وزيد وعبيد أولاد بكر .

اشعلبهم .

هوّ ما تدرون راحوا مصر .

والله يقولون راحوا يتعلمون عنكريزى والصحيح أن ها الأيام ما ميش أحسن من العنكريزى

أى والله وإنتى صاجّه .

وتخرج خالتى أم حسين .

« ويدخل من السوق أبو فلان حارسه الله بعد منتصف النهار بساعتين أو ثلاث حاط بشته على راسه وتعبان من أذية السوق ومصائب البضائع وتقلبات الأسعار وكثرة الوارد والصادر وأخبار تجارة الذهب .

ولا يكاد يجلس على وجبة الغداء حتى تفاتحه أم الأولاد .

«ماسمعت الفلاينه ودوا عيالهم مصر يدرسونهم عنكريزى .

طيب وبعدين ؟

وبعدين هم أحسن منا وألا أغنى منا وألا يحبون أولادهم أكثر مما نحب أولادنا وألا يفهموا أكثر منا وألا أولادهم أفهم من أولادنا ؟

« أنا كلت لك أولادنا لازم يروحون من بكره .

لكن ذول صغار ولا هم متعودين على السفر وكيف يصبرون عنا ونصبر عنهم ما تخليهم يتعلمون هنا وإذا كان الله يعلمهم عنكريزى يعرفون هنا والا هناك .

« أنا كلت وانت كيفك لأن لو ما وديناهم يكولون عنا بخلاء ، وشوف ما يبون يصرفون على أولادهم . ومخليهم فى مدارس الكويت بالمجان علشان ما يخسرون بيزات » .

هذا ما أظن (وبعض الظن إثم) هو الباعث لمعظم ذوى أمور الصغار على ارسالهم إلى تلك المدارس الأجنبية على أن البعض الآخر يظهر أنه أرسل أولاده بعد أن فكر وقدر وعرف أن اللغة الإنجليزية مهمة جداً فى الكويت ، وبالأخص لإدارة أعماله التجارية الواسعة التى يمتلكها . زد على ذلك أن أولاده سيتربون تربية انجليزية محضة وهو يسمع عن تلك التربية وما لها من شهرة وسمعة طيبة يشهد لها العالم أجمع . وهناك أيضاً فريق ثالث من ذوى أمور الصغار لم يكن الباعث الذى دعاه لإرسال أولاده لا هذا السبب ولا ذاك . إنما حب الشهرة والتفاخر ، ثم أنه يأنف وهو التاجر الكبير والغنى الذى طبقت شهرته طول البلاد وعرضها أن يدرس أولاده فى مدارس مجانية لا فرق بينهم وبين أولاد الصعاليك من فقراء القوم .

سادتى ، أعمامى ، إخوانى ، عشيرتى بنى وطنى ، حرام والله كل الحرام . إن التقليد شىء والقومية شىء اجدى ! إن حب التجارة المتغلغل فى نفوسنا واقتناء المال المالك علينا أفئدتنا وأبصارنا شىء والوطنية شىء ألزم ! إن حب التفاخر شىء والدين شىء أهم . فإذا كان التقليد يستهويكم مرة فيجب أن تستهويكم القومية مئة مرة ، وإذا كانت التجارة وحب المال يشغلان عليكم أذهانكم مرة فيجب أن يستحوذ عليكم حب الوطن ألف مرة . وإذا كانت المفاخرة من شيمكم مرة فيجب أن يكون الدين أمام أعينكم مئة ألف مرة . ثم إن أولادكم ليسوا ملكا لكم أنتم وحدكم إنهم وجهاء القوم وزعماؤهم وقادتهم وذوو الرأى فيهم وفى بلادهم وكل شؤونهم بحكم مركزكم أنتم ، وكذلك فإن الوطن والأمة شركاء معكم فيهم ، لذلك فيجب أن يتربوا ويتعلموا تربية وتعليما يرضى الله والوطن والأمة . ولا أظن أن الطريقة التى سلكتموها تفى بذلك الغرض . بل إننى أعتقد إنها على تمام العكس من ذلك .

تصوروا أن طفلا لم يتجاوز السادسة أو السابعة ولا أريد أن أقول الخامسة لا يزال مغمض العينين صافى الخواطر ، فج العقلية ، يُرمى به على هذا البعد الشاسع عن أهله وذويه ، ويحرم من عطف والديه وتكاد تحجب عن أسماعه حتى لغة آبائه وأجداده « إنه لإثم لو تعلمون عظيم »

وافسحوا لى صدوركم هنا لأقص عليكم حقيقة واقعة أقسم لكم بالله إننى سأرويها لكم كما هى بقدر ما تسعفنى الذاكرة لأنها حدثت منذ ثلاثة شهور تقريبا وإن كان فيها بعض التحريف الطفيف فإن الملام على ذلك إنما هى الذاكرة

والواقعة وما أدراك ما الواقعة كما يجب أن أسميها هى :

كنت جالساً فى مكتب بيت الكويت ولسوء الحظ كان المكتب خالياً إلا منى .

فدخل الطفل وكانت تبدو عليه علائم الاكتئاب والتردد وضيق الصدر وأخذ يدنو منى دنو الخائف المترقب ولما قرب أمسكت بيده وبادرته :

أشلونك

كويس

ليش ما رحت المدرسة ؟

عيّان.

إيش فيك ؟

بطني تعورني ؟

بطني تعورني وإلا يعورني.

كله واحد .

طيب ما رحت لطبيب ؟

بلا ودّاني المستشفى .

من وداك ؟

المدرسة .

المدرسة ودتني والأ ودانى .

زي بعضه .

وهنا تمنيت أن يكون أحداً معى ليسمع ويرى كيف يجنى الآباء على الأبناء من حيث يريدون نفعهم ، والذنب هنا ليس ذنب الطفل إنما هو ذنب الوسط الذى يعيش فيه . إذ أن وسطه لا يسمع فيه غير الانجليزية، وإذا صادف وسمع العربية فإنه يسمعها من أبناء الإفرنج الذين يكونون غالبية طلاب هذه المدارس إن لم يكن كل طلابها منهم ، والإفرنج كما تعلمون يذكرون المؤنث ويؤنثون المذكر ولا ينسبون الضمائر كما يجب ولا ينطقون الضاد أو الحاء لأن لغتهم خلو من هذين الحرفين

أما الجناية على الدين فلا شك أن الواحد من هؤلاء الصغار سيشب ويكبر ويبلغ الخامسة عشر أو العشرين وهو لا يعرف فرائض الوضوء ولا يحفظ من القرآن اللهم إلا الفاتحة ! وقد لا يحفظها لأنى كما أظن انه ليس من برامج المدارس الأجنبية نصوص دينية للحفظة وهى وإن حوت بعض الشيء من هذا أو كان فيها مسجد فلا شك بأن هذا أو ذاك سيكون (منظر بلا مخبر) أو هو من باب الدعاية أقرب وهذا رأى والله أعلم . غير إنى قد خالطت بعض خريجى المدارس الأجنبية وعرفتهم .

وأما الجناية على القومية فيكفى لتحرى مقدار ذلك أن تسأل الواحد منهم بعد أربع أو خمس سنين أو حتى بعد التخرج. من هو خالد بن الوليد ومن هو طارق بن زياد أو ماذا تعرف عن الثورة العربية الكبرى أو حتى عن عمر بن الخطاب فربما أنه لا يعرف عنه غير اسمه . وربما أن ولى أمره يجهل بعض التاريخ العربى ، غير إن له العذر فهو لم يدرس فى مدارس نظامية ، ولم يدخل كليات أو جامعات . أما هو فليس له عذر فإنه معدود علينا من المتعلمين . وأنا لا أنكر إنه قد يكون للتاريخ العربى والإسلامى نصيب من برامج التعليم فى مثل هذه المدارس الافرنجية غير أنه وإن وجد فإنه ولا شك سيكون طفيفاً سطحيا .

فمن المعروف سلفاً أن تلك المدارس لم تنشأ لهذا وأمثاله إنما أنشئت ! وهنا أمسك عن الجواب وأحيلكم إلى المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى كراتشى منذ عام أو عامين ، لست أدرى ، غير انى أعتقد إنه يجب أن نطلع على قراراته بصفتنا مسلمين ولو من باب العلم بالشيء .

أما عن التربية الانجليزية فحدث ولا حرج فأنا أول المعترفين بعلو مكانتها وسمو رقيها وكمالها ولكن لا يغيب عن بالنا إن لكل زمان دولة ورجال ؛ أى إن ما يستحسن عند أمة قد يستهجن عند غيرها ، وما يستحب استعماله فى بلد قد يستقبح فى بلد آخر ، وما يستساغ عند شعب قد يستنكر عند شعب آخر ، والأمثلة على ذلك كثيرة وسأذكر مثلا واحداً فكلنا يعرف أن من عادة بعض الأفرنج البرود ، وعدم التدخل فيما لا يعنيه . حتى أنه إذا رأى اثنين من معارفه وأبناء جاره يتشاجران أو يتضاربان فإنه يمر عليهما مر الكرام وكأنه لم ير ولم يسمع ولم يبع شيء مما حوله . فهل نرضى نحن العرب بمثل هذا لا أظن ذلك ولا شك بأننا سنقول عن مثل ذلك الشخص إنه عديم الاحساس والمروءة أنانى لئيم الطباع

نعم أننا نسمع كثيرا إن أبناء الملوك والأمراء والأعيان يرسلون لتلقى العلم فى المدارس الأجنبية ، ولكن يجب أن نعرف أن أمثال هؤلاء يكون بجانبهم مربون ومرافقون ، فهو يدرس فى المدارس الأجنبية علومها ويتلقى فى البيت على يد مرافقيه ومربيه علوم بلده وسيرة قومه وأبائه وأجداده وأصول دينه . أو أن هؤلاء الأبناء يرسلون إلى تلك المدارس بعد أن ينالوا القسط اللازم عليهم معرفته فى أدب لغتهم وقومهم ومعرفة علوم أمتهم وتاريخها ، وبعد أن يشتد ساعدهم وتتفتح أبصارهم وبصيرتهم ، حتى يميزوا السمين من الغث ، والطيب من الخبيث .

سادتى ، أعمامى ، إخوانى ، عشيرتى ، بنى وطنى ، أرجو أن لا أكون أثقلت عليكم ، كما أرجو أن لا يحمل قصدى محمل الرجعية والتزمت ، لا والله لست رجعياً ولا متزمتاً وما لهذا قصدت . إنما هى عواطف وخواطر رأيت من واجبى أن أضعها أمامكم على سبيل التذكير لعل وعسى أن تأتى بثمرة إن لم يكن بالنسبة لما تم فعلى الأقل لمن يفكر أو فكر، ولم ينفذ الأمر بعد، وسامح الله صاحب المثل العامى الذى يقول (كل شيء أفرنجى برنجى) .

عبد الرحمن محمد الخال